أولا : نشأة الجغرافيا التاريخية وأهميتها

1- مفهوم الجغرافيا التاريخية : هي فرع من العلوم الجغرافية تهتم بدراسة التطور التاريخي وحركات السكان المختلفة، وهي جغرافيا الماضي وما يتعرض له المكان خلال الزمن، فالجغرافية التاريخية تحاول أن تعطينا صورة عن مكونات المجال وتطوره عبر الزمن وديناميكيته.كما تهتم بدراسة كل التغيّرات الحاصلة على المجال وربطها بالعامل الزمني الذي يعتبر من مرتكزات البحث التاريخي.

2- نشأة الجغرافيا التاريخية :

احتلّت الجغرافيا التاريخية مكانة هامة ضمن الدراسات الجغرافية وذلك مع نهاية القرن العشرين حيث فرضت نفسها كتخصص قائم بذاته بعد أن كانت تندرج ضمن الجغرافيا العامة، وتزايد الإهتمام بها في أوساط المتخصصين لإبراز أهمية تفاعل الإنسان بالمجال ومعالجة التأثيرات المتبادلة بين الجغرافيا والتاريخ لتطوير المعرفة التاريخية، فظهور الجغرافية التاريخية واكبه ظهور للتاريخ الجغرافي أو تزامن معه، بعد أن ظهرت دراسات اهتمت بتطور خريطة العالم عن طريق الكشوف الجغرافيا، وبعد أن نبهت مدرسة الحوليات الفرنسية إلى الإهتمام بالجغرافيا التاريخية[1].

أهميتها : تفيد دراسة الجغرافيا التاريخية في الكتابة التاريخية وتساعد على اكتساب منهجية البحث على أساس أن هناك ارتباط وثيق بين التاريخ والجغرافيا .فقد أدرك العلماء القدامى هذا الإرتباط وماله من فوائد يمكن إبرازها فيما يلي :

- معرفة دور البعد الزمني في التطور والتغيّر الحاصل في البيئة التي يعيش فيه الإنسان .
- معرفة تطور الأرض والحياة منذ نشأتها وهذا موضوع له علاقة بالجيولوجيا التاريخية وما تناوله علماء التطور.

- التعرّف على حركية المجال من خلال امتزاجه بالزمن التاريخي والماضي، فعلى سبيل المثال تطور البيئة الجغرافية الحالية وما عرفته جغرافيا ومناخيا بالمقارنة مع بداية نشأتها وتكوينها، وقد اهتمت مدرسة الحوليات بأهمية الموقع الجغرافي وعلاقته بالأحداث السياسية. فالمؤرخ فرناند بروديل مثلا أحدث ثورة في الكتابة التاريخية بأطروحته المعنونة بـ: " المتوسط والعالم المتوسطي في عهد فيليب الثاني "[2].

واستفاد التاريخ من المجال وأنتج رواد مدرسة الحوليات ما يسمّى بالتاريخ الجغرافي، فالمدرسة الفيدالية ساهمت بشكل كبير في ظهور الجغرافية التاريخية هذه الأخيرة التي بإضافتها للعامل الزمني حققت طفرة نوعية في البحث الجغرافي، فثنائية المجال والزمن في الجغرافية

---

[1].برز في هذا الجانب فرناند بروديل مستفيدا من إرث لوسيان فيفر وكتابه" الأرض والتطور البشري في العلاقة بين البيئة والمكان" و المدرسة الفيدالية لفيدال دو لابلاش للتفاصيل عن المدرسة ينظر : فرانسوا دوس ، التاريخ المفتت، من الحوليات إلى التاريخ الجديد، ترجمة محمد صالح منصوري المنظمة العربية للترجمة ، بيروت ،ط1، 2009ص 203.

[2].الكتاب يؤرخ للحضارة والمجتمع والمدن وشبكات المواصلات ضمن العالم المتوسطي ، للتفاصيل راجع كتاب : فرناند بروديل ، المتوسط والعالم المتوسطي ، تعريب وإيجاز مروان أبي سمرا،دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع ، ط1، 1993 ، بيروت.

التاريخية تزيد من لُحمة التاريخ والجغرافيا وتفتح آفاقا متنوعة للبحث في الدراسات التاريخية منها أو حتى الجغرافية[3].

- أثر الجغرافية في التاريخ من خلال التدخل الحاسم في تغيير مجرى الحوادث، فمثلا في المعارك والحروب كان لطبيعة مسرح المعارك الجغرافية دور في تحديد الجانب المنتصر فمثلا أعاق البحر تقدم تيمورلنك على العبور إلى أوروبا بعد أن هزم بايزيد الأول في معركة أنقرة سنة 1402، وبذلك لم يتمكن من القضاء على الدولة العثمانية الناشئة، واستمرّت في أداء دورها الكبير في تاريخ البحر الأبيض المتوسط.كما ساعدت العواصف وهياج البحر الأسطول الإنجليزي في هزيمة الأرمادا الإسبانية في سنة 1588، مما أدّى إلى تراجع إسبانيا من مجال القوة والسيطرة وصعود انجلترا بدلها، كما أن شتاء روسيا القارس والثلوج المتساقطة أدّى إلى فشل حملة نابليون عليها سنة 1812 .

-اعتماد الكثير من الدراسات التاريخية طريقة التمهيد بمقدمة جغرافية تعرّف القارئ بجغرافية البلد موضوع البحث وهو ما يساهم في تفسير الكثير من المفاهيم التاريخية من خلال التعريف الجغرافي للمنطقة المراد دراستها .

ثانيا: مصادر دراسة الجغرافيا التاريخية ومناهجها

-مصادر دراسة الجغرافيا التاريخية: من أبرزها :

- الخرائط العامة المتضمنة مناطق مختلفة من العالم، سواء مدن وبعض البلدان والمعارك وغيرها، بالإعتماد على المادة التاريخية المتوفرة، وبرصد المواقع الأثرية وأماكن المعارك وحدود المقاطعات الإدارية فمثلا: عند اليونان اشتهر هيكاتيوس الذي كان جغرافيا ورحالة ومؤرخا وناقدا وكاتبا في تناوله من كتابة تاريخية ونثرية، ويوليوس قيصر في مذكراته التاريخية المسماة **"التعليقات"** التي مثلت مزيجا بين التاريخ والجغرافيا فاستعان بالخرائط الجغرافية، وهو ما يعرف اليوم بعلم الخرائط phyCartogra حيث استطاع بواسطنها أن يحدد مناطق البلدان والمواقع والأنهار والجبال والقبائل، وقدّم وصفا للبلدان التي غزاها من بلاد الغال بريطانيا وإيرلندا، فتعرفت أوروبا الحديثة على الكثير من جغرافيتها عن طريق كتابات يوليوس قيصر [4].

-الرحالة العرب والجغرافيا التاريخية: هناك عدة مصادر نذكر منها على سبيل المثال :

- كتاب " البلدان" لابن الفقيه، وكتاب " تحفة النظار في غرائب الأمصار" لابن بطوطة، وكتاب " نزهة المشتاق في اختراق الآفاق " للإدريسي، و" كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم " للمقدسي، وكتاب "المسالك والممالك" للبكري.

- الدراسات المهتمة برصد التغيرات الجغرافية في فترات تاريخية مختلفة في إقليم معين، وتتضمن المكتبة الجغرافية عديد الدراسات منها على سبيل المثال:دراسة (درابي H.Draby- 1963)عن الجغرافيا التاريخية لانجلترا قبل عام 1800، ودراسات ركزت على مشكلات هامة خاصة بنشاط معين مثل المجتمعات الريفية والزراعية في إطار إقليمي وتاريخي مثل (Plabol. 1972) [5].

---

[3].المدرسة الفيدالية تنسب إلى فيدال دولا بلاش والتي استفاد منها رواد مردسة الحوليات منهم فرناند بروديل مابين 1920 -1923 ومن أعمال دولابلاش الخصبة في التاريخ .للتفاصيل ينظر: فرانسوا دوس ، التاريخ المفتت، ص 203.

[4] . حسن الحلاق ، مناهج الفكر والبحث التاريخي والعلوم المساعدة وتحقيق المخطوطات ،ص 101. 446.

[5].محمد الفتحي محمد بكير،الجغرافيا التاريخية دراسة أصولية تطبيقية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1999،ص03.

-اهتمام بعض دراسات الجغرافية التاريخية بدور الإنسان في التغيّر البيئي والعلاقة المتبادلة بين الإنسان والبيئة. ومنها كتاب فرناند بروديل في التاريخ الجغرافي الذي حمل عنوان " فليب الثاني والبحر الأبيض المتوسط "أو"المتوسط والعالم المتوسطي في عهد فليب الثاني"[6].

2-مناهج الجغرافيا التاريخية : تتم وفق منهجين :

– **المنهج الموضوعي:** يتناول فيها الباحث ظاهرة جغرافية خلال فترة زمنية معينة أو فترات متعاقبة، حيث تُعنى بتتبع التغيرات الطارئة على العناصر الجغرافية عبر الزمن بعرض عناصر البيئة الطبيعية والبشرية دون تكرار[7]. فعلى سبيل المثال قد تدرس ظاهرة طبيعية مثل :-تكوّن الجزر النهرية ، أو فيضان نهر النيل أو تشكل البراكين خلال فترة معينة أو تتابع فترات زمنية معينة، وقد تدرس نشأة مدينة وتطورها خلال فترة زمنية، أو الجغرافيا الزراعية لإقليم معين خلال فترة ما، أو نشأة وحدة سياسية وتطورها،أو تطور تعمير إقليم ما بالعناصر البشرية،أو تطور السكان في إقليم ما.وغيرها من نماذج الجغرافيا البشرية التاريخية.

2-المنهج الإقليمي: يتناول بالدراسة عنصر جغرافي أو أكثر في إقليم مع الإهتمام بالبعد الزمني مثل: تطور المناخ أو الغطاء النباتي أو تطور السكان في الإقليم التلّي أو إقليم الهضاب العليا بالجزائر، خلال فترة زمنية أو فترات متعاقبة .

وهناك **المنهج السلوكي** يقوم على تفسير الظواهر بمعرفة سلوكيات الأفراد أو الجماعات الصغيرة .مع التركيز على تقسيم الزمن إلى عصورو معالجة جغرافية لكل فترة على حدة وفق الطريقة التطورية أو الرأسية ووفق تصور يعالج الجغرافيا كوحدة، وقد لا يخلو من التكرار في بعض الأحيان،ومع ذلك فقد يواجه تطبيق المناهج صعوبات متعلقة أساسا بالبيانات المتوفرة ونقص المصادر المتعلقة بنموذج الدراسة.

ثالثا: بيئة الزمن الجيولوجي الرابع ، وجغرافيا المحيط القديم

تندرج بيئة الزمن الرابع ضمن مرحلة ما قبل التاريخ حيث عرفت انتقال الإنسان العاقل من موطنه الأصلي إلى مناطق مختلفة من العالم، وينقسم الزمن الجيولوجي الرابع إلى عصرين:

1-عصر البليستوسين: من(2.6مليون سنة – 12000ألف سنة) وهو من أقصر العصور الجيولوجية وأهمها على الإطلاق، فهو العصر الذي عرف التغيرات البيئية الواسعة ومنها التغيرات المناخية في توزيع اليابس والماء وتوزيع أنواع النباتات والحيوانات وظهور الإنسان على وجه الأرض (الرجل العاقل)، كما شهد فيه النطاق الصحراوي العربي فترات مطيرة بينما داهم الجليد معظم أروبا وشمال الألب واتخاذ القارات شكلها النهائي[8] .

-تغيرات المناخ في البليستوسين شملت العروض العليا والعروض الوسطى وشبه المدارية بانتشار الجليد في العروض العليا وسقوط المطر في العروض الدنيا والمتوسطة، وعرف تناقص درجة الحرارة وتراكم الجليد وفترات دفء أو غير جليدية. وينقسم إلى أربعة عصور هي -العصر الجليدي الأقدم، والعصر الجليدي القديم، ثم العصر الجليدي الأوسط، وأخيرا

---

[6] . فرانسوا دوس ، التاريخ المفتت ... ،ص 200- 203.

[7] . الجغرافية التاريخية دراسة أصولية تطبيقية ،ص ص 04- 05.

[8]. محمد السيد غلاب، يسرى الجوهري ،الجغرافيا التاريخية عصر ما قبل التاريخ وفجره ،مكتبة الأنجلو مصرية ، ط2، 1975،ص 19-20.

العصر الجليدي الحديث وفي أمريكا الشمالية من الأقدم إلى الأحدث كالتالي / دور نبراسكا، دور كانسان،دور الينوى ودور ويسكونسن [9].

-شهد البلايستوسين حركات أرضية عنيفة في كثير من أنحاء الأرض فحدثت فوالق وتصدعا اتخذت أشكالها الحالية مثل البحر الأحمر ،حيث فتح مضيق العقبة واندفاع ماء المحيط الهادي إليه خلال البلاستيسون الأوسط ووادي الأردن والخليج العربي، ونشاط حركة البراكين في أوروبا في اليونان وبحر ايجة،وقد بدأ نشاط بركان فيزوف وبركان أنتا في عصر البلايستوسين [10].

-تعتبر الينابيع الجافة القديمة التي تشبه الكثبان الرملية المتحجرة من الأدلة على التقلبات المناخية التي تعرضت لها أجزاء كثيرة من العالم في عصر البلايستوسين.وتحددت العلاقة بين الماء واليابس على الشكل الحالي .

- **تكوينات اللويس**:هي عبارة عن رواسب دقيقة من التراب حملتها الرياح من الركامات الجليدية النهائية وأرسبتها فوق أول عارض عرض لها، ويظهر من توزيع رواسب اللويس وتكوين طبقاتها وبخاصة في شرق أروبا[11].

-**الهولوسين ecenoHol**(الحديث): ترجع بدايات الهولوسين إلى عشرة آلاف سنة والتي تزامنت مع تقهقر آخر الأدوار الجليدية في أروبا وأمريكا الشمالية، وتأرجحت بين البرودة والدفء، حيث ارتبط بها تغيّر في نظم الضغط والرياح وتوزيع الغطاءات الجليدية وكميات الأمطار. وبالذبذبات المناخية في الفترة مابين 10.000الى 9.000 سنة مضت .

وفي عصر البلايوسين تقهقرت أشجار النخيل عشر درجات عرضية جنوبا، وفي الألف التاسعة تحركت المياه الباردة لتستقر أمام سواحل شمال غربي أيسلندا، كما سادت مياه دفيئة على امتداد سواحل غرب أوروبا، وقدرت الزيادة في درجة الحرارة لمياه المحيط الأطلسي، وفي المناطق القطبية الكندية والقارة القطبية الجنوبية بنسبة ما هي عليه في الوقت الحاضر.وقد ترتب عن التغيرات المناخية نمو الغابات المختلطة بعد مضي حوالي ألف سنة من تاريخ بدء هذا التغيّر المناخي .

-فترة المناخ الأمثل استغرقت من 700 إلى 1300 م حوالي 600 سنة عرفت تقلّص الأغطية الجليدية وتراجع حدودها في الإتجاه الشمالي في نطاق العروض العليا من نصف الكرة الشمالي في المرتفعات، وفي سواحل فنلندا الأراضي السهلية في انجلترا، وشهدت قارة أمريكا مابين 1100- 1300زيادة في درجات الحرارة في جرينلند وجنوبي غربي الولايات المتحدة وفي إقليم غرب أروبا .

وفي العصر الجليدي الأصغر 1430- 1850 تميز مناخ هذه الفترة بالبرودة وانخفاض درجة حرارة مياه محيط الأطلس الشمالي إلى الشمال من دائرة عرض 50 درجة، وتغير منسوب بعض البحار والأنهار فارتفع منسوب مياه بحر قزوين، وفي أروبا هبوط مستوى نمو الغابات،وتقدم ثلاجات أوربا وأمريكا الشمالية وآسيا الصغرى نحو الجنوب،وفي أواخر العصر الجليدي تحسنت الأحوال المناخية وانتشر نمو بساتين العنب في غرب أروبا ووسطها، ودفئ المناخ في أعالي الميسيسيبي وقارة أمريكا الشمالية وزادت كمية الأمطار

[9] . الجغرافيا التاريخية ، دراسة أصولية تطبيقية ..، ص 21 .25.

[10] . الجغرافيا التاريخية عصر ماقبل التاريخ وفجره ،ص 42.

[11]. نفسه ،ص 32-33.

في حوض البحر الأبيض المتوسط وإقليم الشرق الأوسط ، وعرفت الصحراء الكبرى فترة مطيرة بداية من سنة 1200 م حتى أواسط القرن السادس عشر ميلادي .

رابعا: دراسة الحضارة في الجغرافيا التاريخية

الحضارة نظام اجتماعي مؤلف من عدّة عناصر في مقدمتها الموارد الإقتصادية والنظم السياسية، والعلوم والفنون والتقاليد الخلقية، والحضارة ليست وليدة عصر معين أو حقبة معينة ، وهي نتيجة لتداخل عوامل يختلف تواجدها بنسب متفاوتة من منطقة لأخرى .

والحضارة مشروطة بطائفة من العوامل هي التي تستحث خطاها أو تعوق مسارها ومن أبرزها :

1-**العوامل الجيولوجية** : وحسب وول ديورانت فإنّ الحضارة مرحلة تتوسط عصرين من جليد، فتيار الجليد قد يعاود الأرض في أي وقت فيغمرها من جديد، بحيث يطمس منشآت الإنسان بركام من ثلوج وأحجار، ويحصر الحياة في نطاق ضيق من سطح هذه الأرض ، وشيطان الزلازل الذي يبني حواضرنا في غفوته، ربما تحركه حركة خفيفة بكتفيه فابتلعنا في جوفه[12].

، ومنذ أزمنة غابرة بدأ الإنسان يتدرج في الحضارة عبر مراحل كانت ثمرتها مجموعة من الإختراعات التي جعلت سيادة الإنسان على البيئة وعلى الحيوانات تتوطد أكثر مما ساعده على توفير الراحة والطمأنينة، ويبدو أنّ مولد الحضارة الإنسانية وتطورها قد تحكمت فيه البيئة والتاريخ الذي له دور كبير في تحقيق ثمار الحضارة .

2-العوامل الجغرافية والطبيعية: تشكل البيئة مستقر الإنسان وموطن قيام الحضارة ،كما أن تاريخ الحضارة هو تاريخ صراع الإنسان مع الطبيعة وتفاعله معها، وتختلف البيئات باختلاف الموقع الجغرافي كما تتميز بميزات طبيعية تساعد على نشأة الحضارة ومن أهمها:

المناخ : المناخ المعتدل يساعد على التقدم عكس المناخ البارد والحار.

التربة : التربة الخصبة تستحث خطاها بما تساهم به من تنوع في الغطاء النباتي .

المياه: شرط ضروري للحياة ولقيام الحضارة، فالمناطق التي تتوفر عليها المياه تساعد على تكوين حضارة مدنية بينما المناطق الصحراوية والتي يغلب عليها الجفاف يعرف فيها مسار الحضارة تباطؤ [13].

3-:الإطار الزماني لظهور الحضارات :

-أهمية الزمن في دراسة الحضارة : ارتبطت الحضارة ارتباطا وثيقا بعامل الزمن والمعبّر عنه بالتاريخ لأنّ التاريخ حسب العلاقة هو الزمن والثمرات الحضارية مرتبطة بالوقت بالإضافة إلى جهد الإنسان، ولا تتبين القيمة الحضارية للمنجزات وثمارها إلا بالتجربة التي تحتاج إلى زمن ووقت للوصول إلى تحقيق الثمار[14]، فالثمرات الحضارية تحتاج إلى زمن

[12]. وول ديورانت قصة الحضارة ، ج1 ، نشأة الحضارة ،ص 03.

[13] .حسان حلاق ، تاريخ الحضارات ،ص 12.

[14].حسين مؤنس ،الحضارة دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها ، ص 13.

كي تنضج، وثمار الزروع لا تنبت إلا بفعل الزمن ، .. وبفكرة الزمن يتحدد معنى التأثير والإنتاج فالزمن له دور كبير في تكوين الفكرة والنشاط ، والمعاني والأشياء [15].

- الإطار الزماني والمكاني لظهور الحضارات: هناك حضارات اشتهرت بأسبقيتها ويبدأ تاريخ الحضارة بأقدم شعب متمدن ويستغرق فترة التاريخ القديم فهو يبدأ من العصر الحجري القديم الذي ينتهي في 10000 ق.م أو 8000 ق.م وهو بدوره مقسم إلى مرحلتين رئيسيتين ،مرحلة تسبق الكتابة ، وقد أطلقوا عليها اسم : **"ماقبل الكتابة " أو"ماقبل التاريخ "** ، والأخرى مرحلة بداية الكتابة : وأطلق عليها اسم **"العصر التاريخي"** : ويبدأ حوالي ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد وينتهي في القرن الخامس بسقوط المملكة الرومانية 476م [16].

ونتيجة الكشوفات الأثرية فإنّ الأقرب إلى الصواب أن الحضارة انطلقت من جنوب غرب آسيا مكان ظهور الإنسان الحديث ابتداءا من سنة 6000 ق.م، وإيجاد الأواني الفخارية في شمالي منطقة الهلال الخصيب ،وانتشرت في باقي الأنحاء واستغرقت آلاف السنين لينتقل بعدها الإنسان المتحضر ليستقر في مصر وشمال الهند وأوربا حوالي سنة 5000 ق.م ، ووصل الإنسان إلى نهر الأنديز والحبشة والجزر البريطانية قبل 3000 ق.م [17] .

خامسا :الحضارات وبداية تحركات الشعوب في عصر المعادن عبر العالم

من المرجح أن انتقال الإنسان من عصور ما قبل التاريخ إلى العصور التاريخية يعود تاريخه إلى حوالي ستة آلاف عام،واهتمت الدراسات بالتقسيم التاريخي في العهد القديم وفق مراحل عرفت بالعصور التاريخية وارتبطت بالمعادن وأبرزها :

-عصر النحاس : يمثل النحاس أول معدن يلين لاستخدام الإنسان فوجد في سويسرا حوالي 6000 ق. م، أما في بلا الرافدين فيرجع إلى سنة 4500 ق.م،حيث أدّى كثرة النحاس إلى قيام ثقافات جديدة في الألف الرابع قبل الميلاد في عيلام ومابين النهرين ومصر وانتشرت إلى مختلف مناطق العالم[18]. وفي هذا العصر تحرر جزء من أفراد المجتمع من الإنتاج الزراعي واحترافهم التجارة والصناعة ، ومهد لظهور المدنية في أرض مابين النهرين .

-عصر البرونز: هو فترة التكوين في تاريخ الإنسان الحضاري وقد بدأ هذا التغير السريع في حوالي الألف الرابعة قبل الميلاد واقتصر على مناطق قليلة من العالم كانت الظروف الجغرافية فيها ملائمة ، وقد ظهرت الثورة المدنية في العراق ثم انتشرت سريعا في مصر، يرجع البرونز إلى الآثار الكريتية سنة 3000 ق.م والآثار المصرية 2800 ق.م ،ومناطق مختلفة ،.وفي هذا العصر بدأ التخصص في العمل يظهر لأول مرة في التاريخ حيث انفصل الزراع عن أصحاب الحرف الأخرى ، وأصبح الحرفيون يحصلون على حاجاتهم عن طريق المقايضة بالمنتجات التي يقومون بصناعتها [19]، ولم يستغرق عنصر البرونز أكثر من ألف سنة وهي فترة محدودة في تاريخ البشرية .

---

[15].مالك بن نبي ، مشكلات الحضارة شروط النهضة ،ترجمة : عمر كامل مسقاوي ، عبد الصبور شاهين ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، ص 186.

[16]. شارل سينوبوس، تاريخ حضارات العالم ،ترجمة محمد كرد علي،الدار العالمية للكتب والنشر ،القاهرة ،2012 ،ص8.

[17]. صادق صبور ، المرجع السابق ،،ص 37.

[18]. ديورانت ، قصة الحضارة ، ج1 ،ص 179.

[19] . الجغرافيا التاريخية ، عصر ماقبل التاريخ وفجره ،ص 190.

-عصر الحديد : تكشف الآثار أنّ الحديد يرجع إلى 4000 ق.م بعد اكتشاف مسبك للحديد بروديسا ، ومثل عملة نادرة في عصر حمو رابي 2100 ق.م ، وعرف انتقالا إلى المعمورة قرنا بعد قرن. واستخدام الحديد في الصناعة بعد اكتشافة في الألف الثالث والثاني بشكل متفاوت بين المناطق، واستعمل الإنسان هذا المعدن صناعة أدوات متينة، ساعدت على استصلاح مساحات واسعة من الغابات من أجل الحرث والرعي .ولم يثني استعمال الأدوات المعدنية للعمل بالخشب ، حيث قام نجارو عصر البرونز ببناء بيوت متينة بربط العوارض بالأسنان ، واكتشاف العربة قبل 3000 ق.م [20].

ويمكن تلخيص أهم مميزات عصر استعمال المعدن في النقاط التالية :

-الخروج من نطاق الاكتفاء الذاتي والاعتماد جزئيا على ما تجلبه التجارة من الخارج .

-نشأة طبقة متخصصة في الصناعة، تنتج بهدف الاستهلاك المحلي والإتجار مع الخارج.

- نشأة التجارة على نطاق كبير حيث أصبح الحرفيون يحصلون على حاجاتهم عن طريق المقايضة بالمنتجات التي يقومون بصناعتها.

- قيام المدن كوحدات جديدة من التعمير البشري مستقلة عن القرى حيث مثّل عصر الإستقرار الزراعي عصر نشوء المدن في الفترة الممتدة مابين 7000 – 3500 ق.م مثل : تبة سيالك " و " حجي فيروز " في إيران، وتل الجديدة في سورية ما بين 5600 – 5100 ق.م وتل العبيد في العراق بين 5000 ق.م – 3750 ق.م .وتطورت المساكن من أكواخ من الأخشاب إلى منازل من الطين مثل قرية سيالك في شمال إيران ، جارمو و" تل حسونة " في العراق و " أوغاريت " و " تل الجديدة " في سورية و" تل السلطان " في فلسطين و" البيضا في الأردن و " جبيل في لبنان[21].

5-حركة الهجرة والاستعمار التي كان ظهورها الأول في عصر البرونز نتيجة التجارة والبحث عن المعادن بظهور جاليات أجنبية بالنسبة للسكان الأصليين في إقليم ما بقصد إستغلال موارد الطبيعة، وهو ما نتج عنه من تنقل وسفر إلى الاستقرار في آخر المطاف مع الثورة الإنتاجية، وأهم التجمعات البشرية في عصر المعادن : مصر – العراق – شمال سوريا –فلسطين – الأناضول – كريت .

ومن الشعوب التي عرفت هجرات نجد الدردان الذين عبروا الدردنيل في القرن الثامن عشر قبل الميلاد وأسسوا قرية **حصارلك** الخامسة ، ثم بعدها **حصارلك** السادسة في 1500 ق.م ، وفي القرن الثالث عشر ظهر عنصر جديد في شرق البحر الأبيض المتوسط هو العنصر الهندو أروبي الذي وفد من سهوب وسط آسيا وعبروا الدردنيل إلى الجانب الآسيوي والاوروبي، واصطبغت السواحل الغربية بصبغتهم، وحملت اسمهم هؤلاء هم الفريحيون الذين أحالوا طروادة إلى قلعة من قلاع الآرية في آسيا الصغرى، وضغطوا على الحيثيين في داخل آسيا وانتهوا بطردهم من الأناضول وانتقال إلى شمال سوريا [22].

سادسا :المسالك والمضايق والعبور الحضارية عبر العصور.

شكلت الطرق والمسالك البرية والبحرية همزة وصل بين مناطق العالم ، ومعابر تواصل بين الحضارات عبر التطورات التي عرفتها تاريخيا .

---

[20]. ف. دياكوف ، /س .كوفاليف ، الحضارات القديمة ، ج1 ،ترجمة نسيم واكيم اليازجي ،منشورات دار علاء الدين ،دمشق ،ط1 ، 2000 ، ص 51.

[21]. نفسه ، ص 49 .

[22] الجغرافيا التاريخية عصر ماقبل التاريخ وفجره ،ص 468- 469.

-المسالك النهرية والبحرية الحضارية :

-المضايق والممرات المائية :

-المضيق أو الممر المائي: هو ممر مائي يفصل بين أرضين، ومن أشهر المضائق: مضيق جبل طارق، الذي يفصل بين اليابس الإفريقي جنوبا واليابس الأوروبي شمالا ، ومضيق ماجلان بين المحيط الأطلسي والمحيط الهادي، ومضيق باب المندب يصل بين البحر الأحمر والمحيط الهندي، ويعتبر المضيق من الناحية الجيولوجية بمثابة انقطاع في امتداد الجزر وفيما يلي أمثلة عن بعض المضائق وأهميتها :

-مضيق الدردنيل: كمعبر بحري مابين البحر الأسود وبحر إيجة حيث اكتسى أهمية تاريخية، كانت تعبره السفن من بحر إيجة باتجاه البحر الأسود، واحتلت طروادة مكانة هامة منذ أوائل عصر البرونز، ولم تنتقل أهميتها إلى الطرف الآخر من المضايق إلا بعد تقدم عصر الحديد، وتنقل سفن كبيرة من البحر الأسود إلى بحر إيجة.

-مضيق البوسفور: كان المدخل الطبيعي نحو مصب نهر الدانوب، وتدلّ آثار عصر البرونز التي عثر عليها على أن الإيجيين الأوائل عبروا هذا المضيق منذ 2600 ق.م إضافة إلى ما تضمنته الإلياذة من أحداث وما دار حول في رحلة الأرجونت إلى البحر الأسود للحصول على فراء الحمل الذهبي .

-الطرق البحرية والأنهار :

– الطريق البحري في البحر الأحمر: الذي يعبر باب المندب وينتهي عند العقبة أو السويس الحالية .

- **نهري دجلة والفرات**: كان لهذا النهرين دور في الاستقرار البشري بالعراق ، إذ كانت مياه دجلة والفرات تأتي من ذوبان الثلوج من جبال زاغروس في غربي إيران وجبال آسيا الصغرى الشرقية في فصلي الربيع والصيف، إضافة فيضان النهرين المفاجئ وفي مثل هذه البيئة استلزم الاستقرار مجهودات كبيرة لكبح جماح دجلة والفرات .

نهر النيل : منذ أقدم فجر التاريخ المكتوب استخدام مجرى النهر الواحد طريقا للانتقال والنقل النهري من الاتجاهين ومن هنا كانت الوحدة في مصر وكان قيام الدولة وحضارة الفراعنة [23] .

-القنوات والبرازخ :

-البرزخ –القناة: هي أرض فاصلة بين بحرين ، ومثل ذلك برزخ السويس الذي كان قبل شق القناة 1869 فاصلا أرضيا بين البحر الأحمر جنوبا ممثلا في خليج السويس ، والبحر المتوسط شمالا، وكان العثمانيون قد توقفوا عن حفر القناة التي بدؤوها سنة 1529 .

- **برزخ قناة بنما** الذي كان يفصل بين مياه خليج المكسيك والمحيط الأطلنطي بعامة ومياه المحيط الهادي قبل شق قناة بنما. أما المحيط الهندي فقد ظلت مياهه هادئة نوعا ما حتى تدخل البرتغاليون عام 1498 إثر رحلة الطواف البحرية المشهورة حول رأس الرجاء الصالح وانقلب الحال منذ ذلك التاريخ ،ودوران السفن الهولندية حول رأس الرجاء الصالح ذهابا في عام 1596 وإيابا في عام 1598.

كما يعرف **الخليج** أنهّ مسطح مائي طوله أكثر من عرضه، وأنّه حيّز من الماء الذي يفصل مابين أرضين ومن أشهر الخلجان خليج بوثينا وفنلندا وكاليفورنيا، والخليج العربي، و

[23] . الجغرافيا التاريخية ، دراسة أصولية تطبيقية ،ص 475.

الخليج الأسترالي العظيم، وخليج نابولي وجنوبه، وخليج غانه ، وخليج المكسيك، وخليج البنغال، ثم خليج تايلندا الذي يفصل بين الهند الصينية والملايو.

- **رحلات القوافل التجارية والحج :** اتبعت هذه الرحلات مسالك اكتسبت بعدا اقتصاديا وحضاريا فمثلا قوافل التجار والحجاج الضخمة من شمال بلاد المغرب إلى مكة، ومثلها التجارة الصحراوية تجارة الملح والعبيد والنسيج والذهب نمت وازدهرت في القرنين الخامس عشر والسادس عشر، فالطريقان المعروفان بطريقي الذهب والتوابل المستعملان من طرف القوافل التجارية للشرق الأوسط : -الأول طريق سوريا والقاهرة المتجه إلى مكة مرورا في البحر الأحمر، والثانية طريق حلب دجلة باتجاه المحيط الهندي مرورا بالخليج الفارسي، هذه الطرق كانت مستخدمة منذ القرن الثاني عشر بوصفها صلة الوصل بين البحر المتوسط والمحيط الهندي باستخدام وسائل النقل البري والبحري في آن واحد من أجل تبادل الذهب بالتوابل.